پژوهش‌نامهٔ انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی، پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
ماهنامهٔ علمی ـ پژوهشی، سال هجدهم، شمارهٔ یازدهم، بهمن ۱۳۹۷، ۳۷-۵۹

قراءة نقدية فی كتاب *دروس فی البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة* للأزهر الزناد

ناديا دادبور*

محمد خاقانی اصفهانی**

الملخص

القراءات النقدية المتواجدة فی الحقول المختلفة تكشف للمخاطب عن مدى فاعلية النص المدروس وتبين المميزات الإيجابية والسلبية التی يقع فيها، فالرؤية الناقدة منطلق بنّاء يصلح فجوات الطريق وشرخاتها التی تؤدی إلی الفتور. أما الكتب البلاغية فهی لاتكون بمعزل عن هذه التقييمات وجعلها علی خشبة النقد تعطی أكلها ضعفين من زاويتين، زاوية معلوماتية؛ فرصد ما ورد فيها يسفر عن المعلومات الحديثة ويبين العلاقة التی يتمكن من إقامتها بين سائر النتاج البلاغی، وزاوية أخری تتعلق بالدراسات الآكاديمية وإزاحة الستار عن الآليات الموظفة فی هذه الكتب لتعليم البلاغة.

فاستهدف هذا البحث القيام بالقراءة النقدية فی الكتاب *دروس فی البلاغة العربية* للأزهر الزناد ليبين المستويات التقييمية فيه من زاويتی الحصاد البلاغی والدرس الآكاديمی وذلک علی أساس المنهج التوصيفی.

استنتجت هذه الدراسة أن الكتاب *دروس فی البلاغة العربية* مزج بين البلاغة القديمة والمعطيات الدرس البلاغی الحديث مزجاً بسيطاً ويغلبه الطابع التقليدی وإنه يستأهل بأن يكون مادة دراسية فی المستويات الآكاديمية الدنيا كما أنه يمكن أن يعتبر مادة فرعية فی الدراسات الآكاديمية العليا والجدير بالذكر أن الباحث رغم محاولته فی تبيينه لتضافر البلاغة التقليدية والبلاغة الحديثة تغافل عن بعض القضايا الرئيسة التی طرحته البلاغة القديمة.

الكلمات المفتاحية: القراءة النقدية، البلاغة، الأزهر الزنّاد، دروس فی البلاغة العربية.

---

* طالبة دكتوراه، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية اللغات، جامعة أصفهان (الكاتب المسؤول)

** أستاذ قسم اللغة العربية وآدابها كلية اللغات، جامعة أصفهان، m.khaqani@fgn.ui.ac.ir

تاريخ دريافت: ۱۳۹۷/۷/۱۴، تاريخ پذيرش: ۱۳۹۷/۱۰/۲۵

۱. المقدمة

۱.۱ تحديد المسألة

البلاغة العربية التقليدية محطة للكثير من النقاشات التى تشيد براية البلاغة الحديثة، هى التى تحط من شأن البلاغة التقليدية وتقول بموتها؛ وهنالک من يقول بالتزواج المنطقى بين البلاغة الحديثة والبلاغة التقليدية من دون أن يرجّح كفة ميزان إحداهما على الأخرى. فمن هؤلاء الذين توسطوا بين قديم أمر البلاغة وحديثها هو الأزهر الزناد فى كتابه *دروس فى البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة*. هذا الكتاب وضعه كاتبه لأهداف دراسية أكثر من الأهداف العلمية البحتة وهو ثمرة لما حصل عليه المؤلف من خلال تدريسه للبلاغة فالكتاب، كتاب دراسى أكثر من أن يكون كتاباً تنظيرياً بحتاً قائماً على أطر معلوماتية خاصة إلا أنه يرمى العصفورين بحجر واحد، فإذا به فاتحاً نافذة نحو وجوه التضافر والتزاوج بين البلاغة الجديدة والحديثة، فى حين أنه يبنى حجراً أساسياً لتدريس البلاغة لطلاب البلاغة التى لاتكون حكراً على القديم وأبوابها المرصودة ولاتكون منتمية انتماء تاماً نحو الجديد حيث تُدَسُّ البلاغة القديمة على هون فى ترابها.

۲.۱ هدف البحث

استهدف هذا المقال إلقاء نظرة نقدية على الكتاب «دروس فى البلاغة العربية: نحو رؤية جديدة» لـالأزهر الزناد؛ ليرصد الجوانب الإيجابية والسلبية التى تميز بها هذا الكتاب من ناحية الشكل والمضمون، بغية الكشف عن مدى فاعلية الكتاب فى الأوساط العلمية والآكادمية.

۳.۱ ضرورة البحث

الكتب البلاغية التى تعتبر مادة دراسية كجواهر البلاغة والمختصر وغيرها من الكتب تتعلق بالنحو التقليدى ولا تفتح آفاقاً مستجدة أمام المتلقى؛ وهنالک حاجة ماسة وفراغ قاتم بالنسبة إلى الكتب البلاغية الدراسية التى تحلّق فى الفضاءات الجديدة رغم تحفظّها على القديم ليطّلع الطالب على كلا الاتجاهين، القديم والحديث بصورة متوأمة وهذا ما قام به الأزهر الزناد فى كتابه *دروس فى البلاغة العربية* فالقراءة النقدية للكتاب تبين مدى نجاح المؤلف فى إملاء هذا الفراغ وتسفر عن دور الكتاب فى الأوساط العلمية والآكاديمية.

۴.۱ أسئلة البحث

الأسئلة التى حاول البحث الإجابة عنها عبر القراءة النقدية للكتاب فى الإطار الخارجى (الشكلى) والإطار الداخلى (الفحوى)، هى:

۱. کیف تتبیّن الأطر الشکلیة والکیفیات الداخلیة للکتاب *دروس فی البلاغة العربیة* بصفته کتاباً دراسیاً؟

۲. کیف تتبیّن درجة شمولیة الکتاب؟

۳. وما هی التقنیات التی وظفها الکاتب لیحقق صورة جامعة للکتاب؟

۵.۱ خلفیة البحث

الکتب البلاغیة من أهم الکتب فی ساحة النقد ولذلک وجّهت إلیها أسهم النقد من کل جانب وصوب، فکلّ هذه الدراسات التی جعلت النقد البلاغی محورها الأساس، تعد خلفیة لدراستنا هذه؛ منها: کتاب *دراسة ونقد فی مسائل بلاغیة هامّة* لمحمد فاضلی؛ درس فی کتابه قضایا بلاغیة هامة ورصد مراياها وقام بنقدها والفک عن شیفراتها. ومقالة «بررسی ونقد کتاب البلاغة وتحلیل الخطاب» لـ محمد خاقانی؛ قام فیه الباحث بدراسة نقدیة للکتاب. وقد عمل سید محمد رضا ابن الرسول والآخرون فی مجال نقد الکتب البلاغیة فی مقال لهما المعنونة بـ «نقد وبررسی کتاب البلاغة والتطبیق» وقد أبلیا بلاء حسناً فی هذا المضمار.

وهنالک مصادر تخصّ ساحة النقد البحث؛ منها: کتاب *أصول نقد النصوص ونشر الکتب* لمحمد حمدی البکری؛ یبین فیه الکاتب الأسس المنهجیة التی علی الناقد أن یتبعها لیقدّم نقداً قیماً مستقیماً. و*کتاب نقد ونقد کتاب* تألیف مؤسسة خانه کتاب؛ هذا المؤلَّف یقدّم نموذجاً متکاملاً عن کیفیات النقد ویدرب قارئه علی الولوج فی خضم المیادین النقدیة وساحاتها.

أما فی ساحة التطبیق فیمکن الإشارة إلی رسالة الماجستیر المعنونة بـ «الکتاب المدرسی للتلمیذ الجزائری فی المستوی الإبتدائی ـ کتاب القراءة للسنة الخامسة نموذجاً ـ دراسة تحلیلیة نقدیة» إعداد سعدی فضیلة وطاوس صادقی. ومقالة تحت عنوان «تحلیل محتوی کتب القواعد النحویة فی المراحل الدراسیة فی الجمهوریة العربیة السوریة»، لعائشة حوری؛ حیث بینت فیها الباحثة کیفیة نقد الکتب الدراسیة وأعطت خیر نموذج أضاء الطریق أمام البحث. والکتاب «نقد وبررسی کتاب *طراحی آموزش اثربخش*» لسید عباس رضوی. فهذه الدراسات وما یماثلها من البحوث تسعی لإعطاء المفتاح الذهبی بید الناقد لیحصل علی النجاح فی عمله النقدی.

أما ما ابتدعته هذه المقالة فیتجلی فی أن الکتاب *دروس فی البلاغة العربیة* لم یتطرق أحد إلی نقده وهو کتاب بلاغی حدیث یستأهل بأن یکون مادة دراسیة تدرس فی الجامعات، والتّعرف علی جوانبه الإیجابیة والسلبیة لایخلو من الفائدة.

۶.۱ منهج البحث

المنهج الذی تتبعه الباحث فی هذه المدوّنة توصیفی تحلیلی؛ یستأنف مهمته بنظرة یسیرة إلی السیرة العلمیة للأزهر الزنّاد ثم یوجّه اهتمامه نحو هندسة الکتاب وهندامه لیتابع النقد الخارجی الشکلی ویستمر فی نقده نحو الاتجاه الداخلی بتبیین فحوی الکتاب؛ والمطاف الأخیر هو استجلاء الرؤیة النفسیة للکتاب وتبیین مدی توظیفه للتقنیات النفسیة التعلیمیة.

۲. السیرة العلمیة للأزهر الزناد

الأزهر الزناد أستاذ فی جامعة المنویة بکلیة الآداب فی الجمهوریة التونسیة له أعمال ملحوظة فی حقل اللسانیات الحدیثة منها:

المعجم فی اللغة العربیّة: تولّده وعلاقته بالتّرکیب، واللسانیّات العرفنیّة واللّغة العربیّة، واللّغة والجسد، ونظریّات لسانیّة عرفنیّة، واسترسال الصّوت، واسترسال الدّلالة: مقولة الجمع نموذجاً، والاشتراک بین المعجم والنّحو: المنوال الاحتمالی فی تکوّن المعجم وانتظامه؛ مجلة المعجمیّة، وظاهرة الاتّساع فی الدّلالة المعجمیّة، والقراءة بین الکلمات: بحث فی تجلیات البنیة الاجتماعیّة والاقتصادیّة من خلال الخطاب الإشهاریّ لدی الباعة المتجوّلین، الحیاة الثقافیّة (تونس)، ونظریّة عروضیّة فی الصّرف التّفریعیّ؛ بقلم: جون ماککارثی، واللّسانیّات فی قلب المسیرات: الشّعارات خطاباً طقوسیّاً، مؤتمر لسانیّات النّصّ وتحلیل الخطاب (الدّورة الثّالثة)، وحرکیة المعنی فی المزیج: الکاریکاتور نموذجاً، ندوة: الدلالة، النظریات والتطبیقات، ولعبة المرایا فی التّصویرالذّهنیّ: التّمثیل فی البلاغة العربیّة نموذجاً. ندوة: حازم القرطاجنّیّ، والتّصویر الذّهنیّ باللّغة: المظهر فی اللّغة العربیّة نموذجاً. ندوة: تجدید الدّراسات اللّسانیّة: الحاصل والآفاق، الجسد الفضاء ـ الفضاء الجسد: فی تمثیل الزّمان والمکان فی أیّام طه حسین ندوة تجدید البلاغة العربیّة، النص المضمر ـ النص المظهر: فی أنّ الاجتماع الانسانیّ ضروریّ لابن خلدون نموذجاً. ندوة: النّصّ وعتباته، جموع التّکسیر: مقاربة عرفَنیّة، الأسس العرفنیّة فی الإنحاء: العنصر الإشاریّ |ت| نموذجاً، ندوة: «الإحالة وقضایاها فی ضوء المقاربات اللّسانیة والتداولیّة» (راجع: ۲۰۱۰: https://sites.google.com/site/lazharzanned).

۳. فحوی الکتاب وموضوعه

البؤرة الرئیسة التی تطرق إلیها الکتاب *دروس فی البلاغة العربیة، نحو رؤیة جدیدة* هی تعلیم البلاغة التقلیدیة للطلاب بأسلوب حدیث إلا أنه قصد المزج بین الرؤیة البلاغیة القدیمة والحدیثة

لئلا یکون التعلیم تعلیماً عقیماً یُجَنْزِر المتلقی فی زنزانة البلاغة التقلیدیة التی أکل الدهر علیها وشرب. والکتاب یرید فتح نافذة جدیدة أمام الدارس وهو یتضمن أهم القضایا البلاغیة البحتة التی لا تلتقی بالدرس النحوی فی شئ، فوضعه المؤلف الأزهر الزناد فی أبواب ثلاثة مُصَدِّراً علم البیان ثم المعانی ثم البدیع.

وبیّن أنه لم یعالج القضایا الترکیبیة من الوجوه الإسنادیة وغیرها لأنها فی معتقده تتعلق بعلم النحو؛ ویدّعی فی مقدمة کتابه أنّه انتهج منهج الدرس البلاغی القدیم وأنّه طعّمه ما استطاع بمعطیات الدرس اللسانی الحدیث وبیّن غایته بأنها «إنارة تلک المسائل ببعض المبادئ اللسانیة حتی تکون أوضح» (الزناد، ۱۹۹۲: ۵). والمهام فی عمله هذا، هی الإفادة، فیتمکن الدارس إثرها من استیعاب عمل الخطاب استیعاباً غائراً فی عدة مستویات؛ هی: النحویة، والصرفیة والبلاغیة الأدبیة. تنجم هذه الرؤی عن معتقد یقول بدور المستویات المتباینة فی إکمال قراءة النصوص ولاسیما الأدبیة منها.

یبرر الکاتب أسلوبه فی مزاوجة التنظیر والتطبیق، علی أنّه یمکّن الدارس فی الربط بین الواجهة التنظیریة وبین الأدبیة أو الجمالیة فی النص الأدبی. وقصد من وراء کل ذلک سد الفجوات الموجودة فی أذهان الناشئین فی البلاغة التقلیدیة والحدیثة واستشفاف ما وجدوه فی النقد الأدبی من الضبابیة ویروم الزناد فی کل ذلک تقویة مهارة الطلاب للربط بین الاثنین لیتمکنوا من توظیف معلوماتهم کلّها.

فحوی الکتاب یتوزع علی ثلاث محاور: المحور الأول: علم البیان، والمحور الثانی: علم المعانی من دون الاستقصاء فی القضایا المتعلقة بالترکیب، من قضایا الإسناد والفصل والوصل والقصر والإیجاز والمساوات لما یعتقد أنها تتعلق بالنحو تعلقاً تاماً. والمحور الأخیر یطوف حول البدیع وشرح الصناعات البدیعیة.

۴. سیمیائیة غلاف الکتاب

اللحمة الدلالیة التی یتمیز بها غلاف الکتاب *دروس فی البلاغة العربیة*، هی السذاجة والمزج اللونی من دون غیرها من المیزات التی یستأهل الغلاف لئن یتمیز بها. فالغلاف لا یحتوی علی أیة صورة خاصة إلا دائرتان مصفرتان فی الجانب الأیسر السفلی من الکتاب ودائرة بیضاء، فیها خطوط صفراء فی الجانب الأیمن فی أعلی الکتاب. وهناک ثلاثة خطوط غیر متصلة باللون البنفسجی القاتم المائل إلی السواد وهنالک عمود شاقولی أصفر ملأ الجانب الأیمن من الغلاف، ثم عنوان الکتاب وقع فی أوساطه بذاک اللون البنفسجی القاتم: «دروس فی البلاغة العربیة»

وهنالک الحرف «فی» باللون الزاهی الضبابی المتضائل وکأنه تموضع وراء شاشة العنوان، ثم الکلمة الأخیرة فی العنوان «نحو رؤیة جدیدة». وکأن هذه الرؤیة المستأنفة المستجدة هی قضیة مهمّشة بعیدة عن الصدر وهذا ما ینطبق انطباقاً تاماً علی رؤیة الکاتب البلاغیة فهو یجعل البلاغة التقلیدیة وأسسها وما لها من المرایا فی الصدر ثم یوشّح کلامه بالبلاغة الحدیثة من دون أن تمس البلاغة التقلیدیة فی شئ. وهذا التمایز اللونی بین الأبیض والأصفر، یبوح بالتمایز الذی تتراوح فیها البلاغة بین الحدیث والقدیم إلا أن ملکة القدیم هی الملکة الغالبة فی الکتاب. أما عنوان دار نشر الکتاب ومَعْلَمه أی المرکز الثقافی العربی، فاستقر فی الزاویة الیمنی السفلی فی هذه المدونة.

ولوحة الغلاف الخلفیة تحتوی علی ملخص الکتاب ورؤیته والأهداف التی یرومها فی فقرتین أی ستة عشر سطراً، وهذا یعد تقنیة ممتازة للفت انتباه المخاطب وتطلّعه علی فحوی الکتاب.

۵. التحلیل الخارجی: التقییم الشکلی

معالجة الکیفیات الصوریة للکتاب من أهم خطوات دراسته والتقییم الصوری للعمل یبدأ من ألف أبجدیته إلی یاء الکتاب الختامیة (راجع، مؤسسة خانه کتاب، ۱۳۸۶: ۲۵). فالکتاب *دروس فی البلاغة العربیة؛ نحو رؤیة جدیدة* کتاب بلاغی شهد طبعته الأولی فی سبتمبر عام ۱۹۹۲ للمیلاد ونشر بمرکز الثقافی العربی والدار البیضاء ببیروت. قام بتألیفه الأزهر الزناد الأستاذ بجامعة التونسیة، قسم اللسانیات؛ بغیة سد الفجوات المتواجدة فی ساحة تدریس البلاغة فی مجالین: القدیم والحدیث.

استأنف الأزهر الزناد کتابه بـ «التصدیر» من دون المقدمة وهو یوظف مصطلح «التصدیر» من دون التوطئة أو التقدیم وغیرها من المصطلحات الشائعة والتصدیر لایستغرق إلا صفحة واحدة ونصف، ثمة المؤلف وضع بعض النقط التی تختص بالمقدمة فی هذه التقدمة مثل الهدف والمنهج الذی اتبعته فصول الکتاب. ولم یکن التصدیرُ المقدمةَ البحتةَ وهنالک بعض العناصر لم یشر إلیها الباحث فی هذا التصدیر الذی استبدله بالمقدمة؛ منها: أسئلة البحث، والدراسات السابقة، وفرضیة البحث، وبیان المسألة وإنما احتوی علی التعریف بالکتاب وأقسامه والمدخل والفصول الثلاثة.

بعد التصدیر من دون أی ورقة بیضاء ینتقل المؤلف إلی المدخل فی علم البلاغة، ففی هذا القسم یتصدی لبیان نشأة علم البلاغة وتطوره ومواضیعه. وهنالک خلاف فی کیفیة الإحالة فی الکتاب فهی تکون داخل نصیة بالنسبة إلی المصادر العربیة وهی تابعة للأصول الإحالة الهامشیة فی الإرجاع إلی المصادر الأجنبیة، وهذه القضیة أدت إلی توتّر الانسجام الشکلی للکتاب من بدایته حتی نهایته.

بعد انتهاء المدخل یجعل الکتاب ورقة بیضاء لیستریح البال ویستعد للانتقال الموضوعی وتلی تلک الصفحة ورقة تحتوی علی العنوان: «الباب الأول فی علم البیان» ورقم الصفحة والعنوان یقعان فی الزاویة السفلی الیسری من الکتاب وبقلم قاتم. یتجزأ العنوان إلی جزئین بخط یمتد امتداداً أفقیاً فی عرض الصفحة وهذا مما یؤثر علی نفسیة المخاطب وکأنّها آلیة تشجیعیة تشجع المخاطب علی الترکیز الأکثر والتمییز بین جزئی العنوان.

یبدأ هذا الباب من الصفحة الحادیة عشرة، ویجد نهایته فی الصفحة الرابعة والتسعین. تلی العنوان صفحةٌ فارغة بیضاء تریح العین لبضع ثوانی وتشغل الذهن عدة لحظات ثم الصفحة الثالثة عشرة عنونت بـ «مدخل فی علم البیان» یشقه خط أسود مستعرض أعلی الصفحة بین «المدخل» و «فی علم البیان». والمدخل یحتوی علی تعریف علم البیان وموضوعه فی صفحة ونصف. ثم الدرس الأول یتضمن التشبیه وتفصیل شتی القضایا التی تتعلق به واستأنف الکاتب کلامه فی الدرس الثانی عن الحقیقة والمجاز وجمیع زواایاهما من دون أی فاصل أو فراغ والجدیر بالذکر أنه أورد بعد کل قسم من الأقسام التی تطرق إلیها، تمارین لابأس بها لیختبر الطالبُ بها نفسَه وقد یستعین فی خضم تحالیله بالرسوم البیانیة التی تساعد الطالب علی التلقی الجید للموضوع واستیعابه.

وفی طیات بحثه یأتی بالملاحظات التی یراها هامة لیزیح الستار عنها وکلمة «الملاحظة» سجلت باللون القاتم کما القضایا الحاسمة والنقط المهمة التی یعتنی بها المؤلف فی درسه ثبتت کلّها باللون الأسود القاتم، نحو ما ورد فی الصفحة تسع وستین، والصفحة تسع وسبعین، والصفحة ست وثمانین.

والعنوان فی الصفحة خمس وسبعین ینوء علی کاهل البحث بطوله وکان بإمکان المؤلف تعویضه بأمثال هذه العبارة: «ازدواجیة الاستعارة فی قرینة لفظیة واحدة» ثم الأبیات الشعریة والآیات القرآنیة التی استشهد بها تفتقد التشکیل، هذا ما یؤدی إلی استعصاء عملیة القراءة والفهم سیما للناشئین.

تتوزع الفقرات فی الکتاب توزیعاً مناسباً وفواصلها لائقة تمنح للبصر فترات من الراحة کما تعطی للذهن فرصة متسعة لهضم المعلومات وقضمها. العناوین الأصلیة مرقمة لکن العناوین الفرعیة تفتقد الترقیم وهذا ما لایصح فی الکتابة العلمیة، ثم هذه الأرقام سجلت باللغة الإنجلیزیة من دون أن یکون داعیاً لهذا الأمر.

الباحث یحیل القارئ إلی بعض الدروس سابقة أو قادمة إلا أنه فی بعض هذه الإحالات لا یذکر رقم الصفحة، فمثلاً فی صفحة تسع وثلاثین أحال القارئَ إلی درس الاستعارة من دون تحدید الصفحة.

من المواضع التی لابد أن یهتم بها الناقد فی نقده، هی: الأخطاء فی الإملاء، الأخطاء النحویة والإرجاع والترقیم (راجع: البکری، ۱۹۸۲: ۸۰-۱۱۳). ففیما یلی إشارة إلی أخطاء المطبعیة التی فلت عن ید الکاتب:

- صفحة ثمانیة وخمسین، ورد فی الإحالة ص ص والصحیح هو:صص أو ص.
- صفحة خمسة عشرة، ورد «مبدإ» والصحیح هو «المبدأ».
- صفحة اثنان وعشرین، سجل «بهذ» والصحیح «بهذا».
- صفحة ثلاثة وعشرین، سجل «عنهما» والصحیح «عنها».
- صفحة ثمانیة وعشرین، سجل «اخری» والأصل «أخری».
- صفحة ست وثلاثین، کلمة «هی» زائدة ومخلة بالوزن فی «وإن هی نظرت» والأصل «وإن نظرت».
- صفحة واحد وأربعین، کلمة «انسان» والصحیح «إنسان» بهمزة القطع وسقطت الهمزة من «اشقر واجردا» والصحیح «أشقر وأجرد»، وصفحة سبع وأربعین «الاحسانا» والصحیح «الإحسانا»، صفحة ثمانیة وأربعین و«احداث والاحیاء» والصحیح فیها إحداث والإحیاء.
- صفحة ست وأربعین سجل «الـ + رحل» والصحیح «رجل».
- وسقطت الواو من کلمة «الألی» فی صفحة اثنین وخمسین والأصل «الأولی»، وصفحة ثمانیة وستین، ورد «لاءم» والصحیح «لائم».
- صفحة تسعة بعد مئة سجل » فبه» والصحیح «فیه وبه».

فإسقاط الهمزة والتنوین من أهم المواضع التی یمکن وضع البنان علیها فی الأخطاء المطبعیة فی هذا الکتاب.

ومن السمات الشکلیة البارزة لهذا العمل، هی شرح المفردات المستعصیة فی الهامش. فالکثیر من المفردات المعقدة التی وردت فی بطن النص تنفک دلالتها وتنکشف معانیها فی الهامش.

وهنالک بعض الأبیات التی وردت فی الکتاب بقیت من دون الإحالة وهی إما فی التمارین وإما فی صدر النص، کبیت «بیض المطابخ ...» صفحة واحد وتسعین.

أما الباب الثانی فیستوعب مساحة کبری قیاساً للفصل الأول وهو یبدأ من الصفحة الخامسة وتسعین لینتهی فی الصفحة مئة وسبع وأربعین. وقد بدأ هذا الفصل بمدخل فی علم المعانی؛ والکاتب وضع هذه العنونة بالجانب الأیسر الأعلی من الصفحة وتلی لفظة المدخل نقطتان للنقل(:) ویبدو هذه العلمنة لیست صحیحة. تکوّن هذا القسم من التعریف لعلم المعانی وبیان موضوعه.

لم یستغرق المدخل إلا صفحة وثلاث أسطر وأورد بعد المدخل فی فصل المعانی درسین؛ الدرس الأول یدور حول ما یتعلق بالخبر یستغرق سبعة صفحات. وأما الدرس الثانی وهو الإنشاء فیستوعب کمیة کبری من الصفحات قیاساً لقسم الخبر أی الدرس الأول؛ إذ یبدأ من أوساط الصفحة ۱۰۵ وینتهی فی الصفحة مئة وسبع وأربعین. نسقت العناوین فی هذا القسم فی منظومة متساوقة متناسقة فیطرح الکاتب نوعاً من أنواع الإنشاء ثم یفصل مظاهره الترکیبیة ویصرح بمعانیها إن وجدت ضرورة ویرد فی أخیر المطاف تمارین لابأس بها فی هذا الصدد لترتفع الضبابیة عن وجه المعانی موجودة.

تتضاءل فی هذا القسم عدد الجداول والرسوم البیانیة قیاساً للفصل السابق.

۶. التحلیل الداخلی للکتاب

یعتبر التحلیل الداخلی أی دراسة الفحوی أبرز مفصل من مفاصل عملیة النقد، فـ «تحلیل المحتوی أسلوب یستخدم إلی جانب أسالیب أخری لتقویم المناهج من أجل تطویرها، وهو یعتمد علی تحدید أهداف التحلیل ووحدة التحلیل، للتوصّل إلی مدی شیوع ظاهرة أو أحد المفاهیم، أو فکرة، أو أکثر وبعد ذلک تکون نتائج هذه العملیة إلی جانب ما یتمّ الحصول علیه من نتائج من خلال أسالیب أخری مؤشرات تحدد اتجاه التطویر، فیما تعد مرحلة التعلیم» (حوری، ۲۰۱۰: ۱۳۵).

یتألف هذا الکتاب من ثلاث محاور رئیسة:

المحور الأول یتحدث فیه الکاتب عن علم البیان وقضایاه الرئیسة بنسق خاص وسلک منتظم وفی کل ما یتطرق إلیه یرد المعنی اللغوی والاصطلاحی ویستند فیما یقوله بالمصادر الموثقة وأمهات الکتب البلاغیة. وفی خضم هذا البحث یشیر إلی مؤشرین رئیسین هما؛ مفهوم العدول ومفهوم «درجة الصفر». ویبین أن للکلام مستویین: مستوی المعنی أو المفهوم الذهنی قبل التلفظ هی البنیة العمیقة، ومستوی العبارة الظاهرة للحس سمعاً وبصراً هی البنیة السطحیة. یتعرض الکاتب لحقل الدلالات المتواجدة فی الحقیقة والمجاز؛ و فی هذا القسم یسفر عن قضیة بلاغیة حدیثة هی أن قوام اللفظ علی ثالوث الدال والمدلول والمرجع. وقد کشف الزناد عن دور المقام والقرینة فی تحلیل الاستعارة، إذ هما یلعبان دوراً ریادیاً فی إلقاء الکلام، والعناصر المقامیة تؤثر بالتساوی علی المتلقی وهی مجموعتان کبیرتان؛ عناصر لغویة وعناصر غیر لغویة. وفی نهایة المطاف یحاول تلمس قضیة التولید فی المجاز لیبین سلة الدلالات ولیبرهنها برهنة بلاغیة إلا أنه یطرح هذه القضیة فی بضعة أسطر وکأنها عقیمة غیر ناضجة خلافاً لما یتوقعه القارئ.

وأما المحور الثانی فسجل الزناد فیه المواضع التی تدور حول المعانی وهذا القسم یفتقد المرایا التی تتزاوج بین النحو والبلاغة من الإسناد والفصل والوصل والإیجاز، ذلک أن الکاتب یعتقد فیما یعتقد أن القضایا التی تتعلق بالتراکیب تخص النحو ولا تدخل حیز الدراسات البلاغیة ولا فی أنظمته. فیبدأ هذا الفصل بمدخل فی علم المعانی وأورد بعد المدخل درسان؛ الدرس الأول وهو الخبر، یشمل تعریف الخبر وأغراضه وأنواعه. وأما الدرس الثانی وهو الإنشاء فیستوعب کمیة کبری من الصفحات قیاساً للقسم الخبر. ففتح الکتاب عینه علی دراسة الإنشاء وأنواعه، ومعانی الجمل الإنشائیة من الاستفهام والأمر والنهی والتمنی والترجی والنداء والمدح والذم والتعجب والقسم. ثم انطلت نظرته نحو الإنشاء الإیقاعی بشتی مظاهره. والقول الأخیر فی المحور الثانی للکتاب هو الإنشاء الإیقاعی فالکاتب استثمر علی حد قوله الفقه وعلم الکلام وکتب اللغة من البلاغة والنحو والمصادر الدرس النحوی، فی توظیفه لمصطلح «الإنشاء الإیقاعی» للتراکیب الإنشائیة الخاصة.

والبدیع هو المحور الأخیر الذی راح الکلام علی رطبه ویابسه فی هذا الکتاب. فیشیر الأزهر الزناد إلی أهم مظاهر البلاغة فی الاقتباس والتضمین هی التاریخ والثقافة. ثم عکس عدسة البحث نحو الطباق، والجدید الذی یشیر إلیه فی قضیة الطباق هی المطابقة المولدة التی تسفر عنها قرائن المطابقة الأساسیة.

فهذه هی المحاور الثلاثة التی أشیدت علیها أعمدة الکتاب.

۷. سجلات المحاور وإشکالیاتها

هذه المحاور الثلاثة التی تبین جهود الأزهر الزناد لاتخلو من الإشکالیات والمواضع التی تتراوح بین السلب والإیجاب من ناحیة الهندسة الشکلیة والفحوی، وهذه النقط تتلخص فیما یلی:

۱.۷ إشکالیات الفحوی

- الأول: أنه یؤکد فی التصدیر علی أن البلاغة تطورت فی أحضان البلاغة الإسلامیة ترکیزاً علی الحدث القرآنی؛ فیجب التأکید من صحة هذا الأمر، ذلک أننا نجد بلاغة راقیة فی الأشعار الجاهلیة وفی النصوص غیر الإسلامیة ولربما تطورت أصول البلاغة ونظریاتها بعد نزول القرآن الکریم إلا أنه لاغرو من أنّ البلاغة کانت تتواجد فی العصور الغابرة وحتی فی یونان وغیرها من الحضارات التی لا تتعلق بالحضارة الإسلامیة فی شئ.

- حینما یتطرق الکاتب إلی إزاحة الستار عن الدراسات السابقة فی التصدیر یبدأ بالکتب التی عالجت البدیع والبدیع فیما یبدو قضیة هامشیة فی البلاغة وکان من الأفضل أن یرد الدراسات السابقة مبتدئاً بالبیان ثم المعانی ثم البدیع؛ لا أن یحصر خلفیة البحث بالکتب التی عالجت البدیع کقضیة محوریة.
- یشیر الکتاب إلی أن «الجرجانی» أقام مباحث البلاغة علی الأسس النفسیة فی کتابیه «دلائل الإعجاز» و«أسرار البلاغة»، والحقیقة یجب التفتیش عن الأسس التی تبناها الجرجانی فی کتابیه وهی فی مظنة الشک أن تکون قائمة علی أصول نفسیة بل الأرجح أن تکون الأصول التی تبناها متآخمة بأصول لغویة.
- ومما یشیر إلیه الکتاب هو المجاز الوظیفی وهی قضیة استقاها الکاتب من نتاجه التجریبی، لأن هذه القضیة نوقشت فی الصف وأثارت الطلبة فی قاعة الدرس کما أشار إلیه الکاتب والمجاز الوظیفی یعنی اعتبار شریحة دلالیة علی حسب تواتر الاستعمال أو قلّته من باب الحقیقة أوالمجاز. فالتوظیف وکیفیاته فی هذه الزاویة هو الرکن الرئیس فی تحدید کیفیات الشریحة، حقیقیة کانت أم مجازیة؛ والحق أن قضیة التوظیف قضیة نسبیة تتفاوت بتفاوت البیئات والأفراد ولایمکن جعلها مؤشراً رئیساً لتحدید نوعیة المجاز. فتتزلزل أرکان المجاز الوظیفی الذی أشار إلیه الکاتب إلی حد کبیر. والأمثلة التی أوردها فی هذا الإطار مثل «ید المنیة» رغم کثرة تواردها، لاتزال تعدها البلاغة التقلیدیة مجازاً منطلقاً من التشبیه أو الاستعارة.
- یرسم الأزهر الزناد لدراسة الشرائح التشبیهیة شبکة تتکون من عناصر لها علاقات وطیدة بینهما وهذه الشبکة الدلالیة معدومة فی الدراسة البلاغة التقلیدیة وهذا ما أضفی إلی الدرس البلاغی للشبیه بعداً جدیداً.
- الدور الثقافی فی تلقی معنی الوحدات التشبیهیة دور ریادی فی هذا الکتاب، ومن دون هذه الرکیزة أی الثقافة لا یتوصل الدارس إلی وجهة دلالیة صائبة، وهذا ما لم تشر إلیه أمهات الکتب البلاغیة التقلیدیة فی طیات مناقشاتها للقضایا البلاغیة علی ما علم. وکأن الکاتب قد تأثر بالمناهج الدرس اللغوی الحدیث من أمثال التداولیة.
- مصطلحات البلاغة الحدیثة تتعاضد فی طیات الکتاب المدروس فـ«درجة الصفر» للغة المعیاریة التی ترنو إلی «التواصل» ثمة «الإنزیاح» و«التشویش» و» التولید الدلالی» من المفاهیم التی تقولبت فی أحشاء البلاغة الحدیثة؛ قد وضعها الزناد فی إطار البلاغة التقلیدیة وهو أجاد فی إقامة الصلة بین البلاغة التقلیدیة والبلاغة الحدیثة إلی حد کبیر.

- إنه يوظف مصطلح «الباث» للمرسل ومصطلح «المتقبل» للمتلقى وهما من المصطلحات التى تقل تواترها فى البلاغة الحديثة. ثمة الانتباه إلى الدور الفعال للباث والمتقبل من القضايا التى تطرح فى ساحة البلاغة الحديثة وتمكن المؤلف من سكبها فى قارورة البلاغة التقليدية.
- يتطرق الباحث إلى قضية التناظر فى التقاط المعنى وانتقاله بين الباث والمتلقى، فإذا تتم شروط صحة شريحة دلالية من منظور البلاغة التقليدية، من المحتمل أن لايفى ذلک بمواصلة التواصل واستمراره استمراراً واعياً، ذلک أن الشرط الأساس فى إنجاز عملية التواصل فى الخطاب أياً كان هو تساوى المعنى وتطابقه عند الباث والمتقبل. فوظيفة الباث تقديم التركيب ووظيفة التقبل الفک عن الشيفرات الدلالية فى هذا التركيب.
- ثمة الإشارة إلى البنيات السطحية والبنيات العميقة فى الشرائح التشبيهة ويصرح الزناد أن البنية السطحية فى تشبيه التمثيل يجوز غيابها، ذلک أن العناصر الحاضرة تحفر نفقاً إلى العناصر الغائبة فتنسد الفجوات وتنعقد نطفة التفهم والاستبصار. هذه القضية أيضاً منقولة عن بلاغة الجديدة وقد ضمّها الباحث إلى لحمة البلاغة التقليدية ببراعة جديرة بالثناء.
- يقول الكاتب بالرابطة العكسية المتواجدة بين الفاصلة ودرجة التخييل، فابتعاد المسافة بين المشبه والمشبه به يؤدى إلى انحسار درجة التخييل، وتقلص تلک المسافة يقابله إطلاق فى درجة التخييل وفى هذا نظر، أو قل أنه خلاف ذلک، لأن الفاصلة الشاسعة بين المشبه والمشبه به لابد أن توسع درجة التخييل، وكلما ابتعد طرفا التشبيه تبتعد وتتوسع درجة الخيال، ولاتتحطّ خلاف ما زعمه الكاتب ويبدو أن هذا الخطأ، خطأ عفوى أو الكاتب قصد من الكلام شيئاً آخر لم ننتبه إليه.
- يجب التدقيق فيما قاله الكاتب على أن العرب حددوا غايات المجاز فى ثلاثة وجوه: التوسع والتوكيد والتشبيه. لأن التوسع فى الدلالة يخرق دائرة المجاز التى تتعلق بعلم البيان ليجد حضوره فى علم المعانى، فالتوسع الدلالى لا يتمنطق حول دائرة المجاز تمنطقاً بحتاً. ولايكون التوكيد أداة لترسيخ المعنى فى الذهن فحسب بل هنالک آليات أخرى تفيد ضبط معنى خاص فى ذهن السامع منها الاستفهام، التوبيخ، النفى، وغيرها من التقنيات، والتشبيه ليس غاية فى المجاز بل وسيلة من وسائل تحققه على ما يبدو.
- قضية الدال والمدلول والمرجع الذى يشير إليها الأزهر الزناد فى الحقيقة والمجاز قضية مستجدة لم تشر إليها البلاغة التقليدية وهو يسفر عن العلاقة الاعتباطية المتواجدة فى عناصر هذا الثالوث ولربما هذه العلاقة لم تكن علاقة اعتباطية كما يعتقد الكاتب بل هى

تتباین وتختلف إثر نقطة التبئیر عند الباث أو المتلقی، وهذه النقطة هی التی توجّه العلاقات المتواجدة فی هذا الثالوث.

- والباحث یصرح بالآلیات التی تساعد علی فهم المعنی فهی عنده «السیاق» و«المقام» و«الثقافة»، هذا الثالوث ثالوث مقبول فی البلاغة التقلیدیة إلا أن دور المؤشر الأخیر أی الثقافة یتضاءل فی البلاغة القدیمة بل یکاد ینعدم فیها إذ لم یحدث عنه ذکراً.
- تتواتر المصطلحات البلاغیة الحدیثة فی طیات الکتاب وهی وردت بالشرح والتفصیل ولا یدع الباحث نقطة ضبابیة سوداء فی هذا المجال یقرن جمیعها بمعناها الإنجلیزی. وهذه الکثرة الکاثرة للمصطلحات من أمثال الاعتباط، والتولید، والنموذج المتداول، والتعمیة، والتسویر والمسور، والاستلزام، وغیرها من المصطلحات التی وردت فی مکانها وبجدارة وملائمة تامة؛ کان من الأفضل أن یخص الباحث لهذه المصطلحات قائمة خاصة فی الأخیر من کتابه.
- الدوران، من أنواع الکنایات التی یشیر إلیها الکاتب ولم یبسط فی شرحها فهی مبتورة غیر واضحة تحتاج إلی الشرح والبسط.
- تحت عنوان «التولید فی المجاز» یتوقع المتلقی مواجهة قضیة سلة الدلالات التی تعالجها البلاغة الحدیثة، هی التی تکشف عن المعانی الکامنة فی شریحة دلالیة خاصة وهنالک یخیَّب توقع المتلقی ویفشل بعد أن یصطدم بستة أسطر تعالج موضوعاً مکرراً هی أنّ تواتر الاستعارة تزداد وتتضاعف قیاساً لسائر وجوه المجاز لأن أساسها التشبیه وهو واسع المدی ممتد الآفاق. وکأن العنوان لاینطبق أساساً مع الفحوی فی هذه الفقرة.
- المؤلف یتعصب أحیاناً لبلده وینحاز إلیه فهو یستقی الأمثال التونسیة فی بیان التفاصیل؛ والواضح أن اللهجة التونسیة غیر معروفة لدی جمیع المتلقین وهذا الأمر یؤدی إلی صعوبة عملیة الفهم والاستیعاب لدی المخاطب ومن نماذج هذا الأمر ما ورد فی صفحة مئة وتسع وعشرین، حیث استشهد بهذا المثل التونسی: «إلیّ یستنی خیر من إلی یتمنی!»
- فی تحدید نوعیة الخبر یعتقد إذا توحدت أداة التوکید فالخبر طلبی وإذا زادت الأدوات عن هذا فیکون الخبر إنکاریاً لکن هذه قضیة لا یجزم بها، وهی تتوقف علی المقام والمخاطب ولربما یکون الخبر مؤکداً بتوسیط مؤشرین توکیدین ولکن السیاق یحول دون اعتبار هذا الخبر خبراً انکاریاً.
- اختصر الکاتب قضیة المقصدیة بسطر واحد من دون أی شرح وتعلیق لائق وذلک بقوله: «وبعضها مرتبط بظروف التلفظ وبعضها الآخر مرتبط بظروف سابقة علیه أو لاحقة له»

(الزنّاد، السابق: ۱۰۶). وهذه القضية محطة نقاش طويل وفی هـذا الحقـل أمثلـة طويلـة وعريضة، أعرض عنها الكاتب وتغافل عنها والجدير ذكرها وعدم الصفح عنها.

- قول الباحث أنّ فعل التعجب يتضمن معنى الجعلية (راجع: السـابق: ۱۳۹–۱۴۰) يحيطـه الشک والريب لأن المعنى فی «ما أجمل الوردة» ليس «شئ جعل الـوردة جميلـة» بـل القصد من التعبير عن جملة كهذه هو إبراز التعجب، لا الإخبار عن الشئ الـذی أدی إلـی تجميل المتعجب منه.
- الاستلزام الماقبلی الذی وجد حضوره فی طيات الكلام عن الخبر والقسم، قضية مستجدة لا تلتفت إليها البلاغة القديمة، ومن المحتمل أن تكون هذه القضية بديهية لدی بلغاء العرب القدمی فلم يمعنوا النظر فيها وانصرفوا عن البوح بها لأن التواصل لايتم والجمل لاتكتمـل إلا عبر هذا النوع من الاستلزام.
- توزيع الاستفهام إلی استفهام صدی وغير صدی وتبيين أثر التنغيم فی تحويل الخبـر إلـی الاستفهام قضية ملحوظة أوردها الكاتب فی مكانها.
- فی تعريفه للبديع يركّز الأزهر الزناد علی مقتضی الحال بقولـه: «البـديع وجـوه تحسـين الكلام بعد رعاية تطبيقه علی مقتضی الحال ووضوح الدلالة» (راجـع: السـابق). وينبغـی التأمل فی هذا المسبار، ذلک أن قضية مقتضی الحال قضية خفية فاترة فـی بـاب البـديع ولاتلعب دوراً ريادياً فی الوجوه البلاغية، ومن جانب آخر ألا تنافی وضوح الدلالة بعض أغراض البديع مثل التورية ولاسيما المرشحة منها؟! لأن المخاطب يلتذ بالإبهام والإيهـام وتقبح وضوح الدلالة فيها وفی كثير من الوجوه البديعيـة لأنهـا مـن الصـناعات اللفظيـة والصناعة تمتاز بعدم الوضوح فی نفسها فهناک شئ من التناقض فی هذا الحقل.
- الأزهر الزناد يحافظ علی الأطر الرئيسة للبلاغة التقليدية لكنه تمكن من أن يضـيف فـی المواضع اللائقة دروس من البلاغة الجديدة إليها من دون أن تمس البلاغة القديمة بالسوء، هذا ما يميز كتابه عن سائر الكتب المتواجدة فی حقل البلاغة فهی إما تتثنی نحو البلاغـة القديمة البحتة بقضاياها المتقوقعة وإما تتعلق بالبلاغة الحديثة التی ترفض الأسس البلاغية القديمة وتدسها فی التراب.

۸. مكانة الكتاب

الكتاب *دروس فی البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة* حصيلة جهد جهيد للباحث الأزهر الزنـاد فـی حقلی العلمی الآكادمی وخبرته فی التدريس؛ وتمكن الباحث من أن يحقق أمله إلی حد كبيـر فـی

المزج بین رؤیة الحدیثة والبلاغة التقلیدیة؛ فعلی الرغم من تواجد إشکالیات فی بعض المواضع یحق أن یکون الکتاب المدروس کتاباً دراسیاً آکادیمیاً، ویبدو أن هذا الکتاب حالیاً یدرس فی الجامعة التونسیة للمنوبة وما یرفع بمکانة هذا الکتاب هو أنّه أُلّف بعدما جرب صاحبه تدریس البلاغة خلال سنوات عدیدة وهو نتاج تجریبی جید، لوحظت فیه المؤشرات الضروریة إلی حد کبیر.

۹. الأسس الفلسفیة والمناهج المعرفیة

الأسس الفلسفیة والمناهج المعرفیة التی استقی منها الکاتب لیؤلف هذا الکتاب تتلخص فی التالی:

- التجربة والخبرة الشخصیة طیلة التدریس.
- اللسانیات الحدیثة بشتی مجالاتها من التداولیة وعلم الخطاب والدراسات العرفنیة وغیرها من العلوم.
- معلومات المؤلف البلاغیة واسعة فی مجالی البلاغة التقلیدیة والبلاغة الحدیثة مما أمکنه أن یحقن البلاغة الجدیدة إلی قلب البلاغة التقلیدیة وأن یؤلف بینها.
- التعرف علی الأدب الشعبی التونسی وتوظیفه فی الأمثلة والتمارین وفی بعض القضایا العلمیة التی تطرق إلیها.
- وفی بیان الإنشاء الإیقاعی یصرح الأزهر الزناد بأنه استثمر الفقه وعلم الکلام وکتب اللغة وهی لاشک مما أثرت علی رؤاه تأثیراً مباشراً.

۱۰. الرؤی البارزة فی الکتاب

أحس الکاتب بالفاصل الشاسع بین البلاغة القدیمة والحدیثة وأصرّ علی مجابهتهما ولاسیما فی قاعات الدرس لیقرب من هذا الفاصل بل لیزیله. والأزهر الزناد یعتقد فیما یبدو أن الطلاب لابد أن یتعرفوا علی وجوه التباین والتشابه بین البلاغة القدیمة والحدیثة ویؤکد ضمنیاً بأن هناک علاقة متشابکة بینهما خلاف ما یزعم بعض الدارسین. وکل الکتاب محاولة لإثبات هذه الرؤیة وهذه الرؤیة رؤیة حیادیة لا تخدش وجه الجانب العلمی الآکادیمی للکتاب.

۱۱. المصادر ودرجة الوثوق

من أهم المؤشرات فی تقییم الکتب دراسیة کانت أم غیر دراسیة هی تحدید مدی درجة وثوق المصادر وکیفیاتها فالکتاب *دروس فی البلاغة العربیة، نحو رؤیة جدیدة* یتوقع أن یشمل مصادر بلاغیة فی حقلی القدیم والحدیث، فیشتمل الکتاب علی واحد وأربعین مصدراً تطغی فیها

المصادر العربية التى تتعلق بالبلاغة التقليدية وهنالک بضعة كتب تتعلق باللسانيات الحديثة باللغة العربية ثم المصادر الأجنبية تتوزع بين الفرنسية والإنجليزية وجميع المصادر كتب وهنالک الانعدام التام للمجلات والمقالات أو الأطروحات والرسائل الجامعية. أما الكاتب فهو ملتزم بالأصول العلمية فى إحالاته للمصادر فلايوجد مصدر دون إحالة أو إحالة دون مصدر على الرغم من تواجد شئ من التشويش والاضطراب فى أسلوب الإحالة.

۱۲. مطابقة العناوين وفحوى الكتاب

العناوين وفحواها تتناسق بعضها ببعض من دون أى تشويش وهى منسجمة انسجاماً تاماً تسيطر عليها البلاغة القديمة وفى ثناياها يجد المتلقى أضواء البلاغة الحديثة، إلا أن هناک بعض الأقسام القليلة التى يكسر فيها الكاتب نطاق توقع المتلقى ويؤدى إلى فشله، فى نحو كناية الدوران فهى قضية فاترة فى الكتاب وكان من حقها أن تنبسط أو فى قضية «تضافر الطباق والمقابلة»، إذ يميل القارئ فيه إلى التقاط العناصر المشتركة والمتباينة بين الطباق والمقابلة، وهذا ما لم يجده كما ينبغى له. ومن دون هذه المواضع التى انعدمت هذه المطابقة المتوقعة يمكن القول أن الأزهر الزناد أجاد إلى حد كبير فى الالتزام بالعلاقة المعنوية بين الفحوى والعناوين المختارة.

۱۳. علاقة النص بالمعايير الإسلامية والأصول الدينية

الكتاب كتاب بلاغى دراسى وتأتى أهمية الكتب التعليمية من جوانب؛ أهمها: أن الكتب التعليمية تعد العمود الفقرى فى التعليم، كما أنّها تعتبر مصدراً مهماً فى نقل المعرفة وانتقالها وتصبح هذه الكتب فى الغالب ينبوعاً معرفياً هاماً يروى ظمأ العطشى (سعدى، ۲۰۱۴: ۹۱). فهذا الكتاب يساعد على فهم النصوص الدينية والمصحف الشريف خاصة، ولا يتواجد فيه فكرة أو مبنى تنافى المعايير الإسلامية بل استشهد الكاتب فى بعض الأحيان بالآيات القرآنية وهذا ما يؤكد على إلتزام الكاتب بالمعايير الدينية إلا أن الكتاب لا يبتدئ بالبسملة ولا ينتهى بحمد الله وهذا مما يعاب عليه.

۱۴. النقد النفسى للكتاب

لا يمكن تناسى الدور الذى يلعبه الكتاب فى نفسية المتلقى؛ والعناية اللائقة الجديرة إلى مميزات النفسية للطالب، من أهم المؤشرات التى تتأصل فى تأليف الكتب الدراسية وتصنيفها وبهذا الصدد يصرح «كاردان» فى بيان له أن الذين يقومون بمهمة تأليف الكتب الدراسية وتقويمها، لابد أن يتعرفوا إلى حد كبير إلى الخصائص النفسية التى يتميز بها الطلاب فكلما ازدادت معرفتهم ازداد

تمکینهم من تصنیف کتب تلفت انتباه هؤلاء المتلقین والقارئین من الطلاب؛ إذ الطلاب فی هذا المستوی یغلب علیهم طابع النقد فمن الأفضل أن تطابق الکتب الدراسیة هذه، نفسیتهم وتلائمها وتُنمِّی هذه الطاقة وتحث أصحابها علی البحث والتدقیق (راجع: جمالی زواره، ۱۳۸۸: ۲۰). ودراسة هذه الأصول تفید الکتاب *دروس فی البلاغة العربیة* لأن کاتبه أی الأزهر الزناد یحدد المتلقین لهذا الکتاب، فهم الطلاب أو دارسی اللغة العربیة فی المستویات الوسطی ومن هنا تتجلی ضرورة الاهتمام بالمؤشرات النفسیة للکتاب؛ وهی:

۱.۱۴ مدی انتباه المؤلف لنفسیة المخاطب

یبدو أن المؤلف قد اعتنی بمخاطبیه وهم الطلاب إلی حد کبیر وراعی جانبهم النفسی عبر توظیف تقنیات خاصة هی:

- الکتابة السهلة البسیطة الشیقة التی لایشوبها الغموض والتعقید؛ مما یسهل عملیة القراءة لدی الطلاب ولاسیما الناشئین منهم.
- تنسیق الفقر وتنظیمها تنظیماً ملائماً لصعوبة الفحوی وسهولته؛ فلا یمل القارئ طول الفقر بل یجد الراحة فی نفسه بعدما انتهی من استیعاب قضیة بلاغیة مستعصیة.
- صوت الکاتب فی الکتاب صوت المفرد الغائب وکأنه صوت الأستاذ الذی یدرب تلامیذه وطلابه لاتقان المادة الدراسیة، فیتماشی معهم ویکتب لهم الملاحظات من حین إلی حین لئلا تتبقی لهم نقطة غامضة فی استیعاب الفحوی وهو یتساءل مع من یتساءل من الطلاب وکأنه واحد منهم یدرک ما یجول فی خواطرهم.
- وهو فی طیات کتابه یستشهد ویأتی بالأمثلة والنماذج وهی من جید الأشعار وجمیلها ملیئة بالحکم أو قصص فکاهیة تروق للطالب وتقل عناء الدرس وثقله الواقع علی عاتقه.
- ویرد الکاتب تمارین تناسب مستوی الطالب بعد نهایة کل قضیة من القضایا لیختبر الطالب نفسه ولیجد مواطن ضعفه وقوته.
- یأتی الکاتب بالرسوم البیانیة والأقواس التوجیهیة والکتابات الریاضیة لیکشف عن المعانی التی یقصد إلقاءها علی الدارس فی أحسن وجه.

۲.۱۴ مدی ملائمة مستوی الکتاب ومستوی التعلیم

یلائم الکتاب مستوی الطلاب فی مرحلة الإجازة فی خارج البلدان العربیة ولمتعلمی اللغة ویلائم مستوی الطلاب الثانویة فی البلدان العربیة، إلا أن الکتاب یفتقد بعض القضایا التی

لابد أن يتعلمها الطلاب من مثل قضية الإسناد والفصل والوصل والإيجاز والإطناب والقصر وغيرها من القضايا التى يضعها الكاتب فى قسم النحو تماماً. رغم صحة هذه الرؤية، فيما نعتقد من الأفضل أن يتدرب عليها الطلاب وعلى الأقل وليطلعوا عليها كيلا تكون مظلمة المعنى عندهم.

ثمة هذا الكتاب يفيد طلاب الماجستير كمصدر ثانوى، لأنه مزج قضايا البلاغة القديمة بالحديثة خير مزج ووجد نقط اصطدامهما بأحسن ما ينبغى؛ فعليه أن الكتاب *دروس فى البلاغة العربية* يلائم إلى حد مقبول المستوى التعليمى المتعلق به.

۳.۱۴ توسيع مهارات التفكير وبسطها

على الرغم من اعتقاد الكثير من الأخصائيين، أن الكتب الدراسية تضيق نطاق التفكير وتحدده؛ هنالک تقنيات خاصة تساعد على تنمية قدرات الطلاب فى الخلق والإبداع هى:

- تنسيق الكتب الدراسية وتنظيمها حسب المراحل المتواجدة لحل القضايا والعقد المطروحة فى الكتاب.
- تنسيق المعلومات فى حلقات مفهومية متسلسلة متواصلة.
- تلازم المعلومات المتواجدة بالاستدلالات العلمية.
- لابد أن ينظر إلى الكتاب الدراسى كمصدر للمعلومات لا كمصدر للعلم (راجع: السابق: ۲۲).

المنظومة العلمية التى تتبع الأزهر الزناد خطواتها فى كتابه منظومة راقية تشمل المستويات الأربعة المتوقعة من شرح المسألة وطرح العقدة وحل العقدة ثم التمارين. والمعلومات المتواجدة فى الكتاب ليست مفككة العرى بل هى منسجمة انسجاماً تاماً وتتسلسل تسلسلاً منطقياً وجل القضايا العلمية التى يتطرق إليها يصحبها بالأدلة العلمية الصارمة والبراهين القاطعة، اللهم إلا القليل القليل التى فاتته فيها تلک الدقة فى البرهنة.

أما الرؤية إلى الكتاب كمصدر للمعلومات لا كمصدر للعلم فقضية مسكوتة لاينبس الكتاب حيالها ببنت شفة.

۴.۱۴ دعم المهارات الإدراكية وتقويتها

الكتاب الدراسى الممتاز يمهد الأرضية المناسبة لدعم المهارات الإدراكية وتنميتها عبر التقنيات التى تموضعت فى الواجهة أما التقنيات التى توسع المهارات الإدراكية حين عملية القراءة، فهى:

- توظيف الصور والجداول وخطاطات الصورية؛ ففی الكتاب دروس فی البلاغة العربية عدد ملحوظ من الرسوم البيانية والخطاطات الصورية والأقواس التوجيهية التی تعضد عملية القراءة واستيعاب الفحوى.
- العناية بمهارات التفكير مثل أن يوجد سؤالاً فی ذاكرة المتلقی والحث على مواصلة القراءة حصولاً للجواب؛ فالأسئلة الصريحة التی يبعث الطالب مباشراً وتحثه على حل المسألة قليلة لكن النص فی ذاته يستثير الأسئلة فی بال المتلقی ويدفعه نحو مواصلة القراءة والأزهر الزناد يدرک بعض الأسئلة ويجيب عنها فيما أسماه بالملاحظات.
- استحضار كمية ملحوظة من الأسئلة فی جميع الفصول تسبب ارتقاء مستوى التعليم؛ هذه التقنية تجلّت فی الكتاب فی نهاية كل قضية من القضايا التی تناقش فترد تمارين لائقة بعد كل منها.
- تلخيص الأمور الهامة فی الجدول؛ تتعدم تقنية التلخيص فی الكتاب وكان من الأفضل أن يأتی بملخص القول بعد كل شريحة من الشرائح المعلوماتية.
- تأطير المعلومات الهامة للكتاب؛ تتعدم هذه التقنية انعداماً تاماً فی الكتاب *دروس فی البلاغة العربية*.
- تغيير مقاس قلم الكتابة لإنشاء نشاط بصری وتحريكه؛ توجد هذه الظاهرة فی الكتاب وقد استمد بها الأزهر الزناد ليدل المخاطب إلى الأيقونات الهامة والمواضع الجديرة التی تتواجد فی الكتاب وهی جديرة بأن تصبح بؤرة عناية الدارسين.
- تحديد الأهداف التعليمية للفصل فی بدايته؛ لا تقع الباصرة على هذه التقنية فی الكتاب والكاتب يستأنف صلب الكلام مباشراً فی كل فصل من الفصول من دون أن يحدد له أهدافاً تعليمية خاصة.
- روعة فحوى الكتاب والمعلومات المتواجدة فيه للمخاطب؛ الأزهر الزناد يحاول امتزاج البلاغة التقليدية بالبلاغة الحديثة وهذه المحاولة فی حد ذاتها محاولة شيقة رائعة، ثمة أنه يفعل ما يرنو إليه من دون التلويح إلى ما قصده وهذا مما يزيد روعة الكتاب ويشد نظرة المتلقی إليه.
- توزيع العناوين إلى فرعية وأصلية؛ توزعت العناوين فی الكتاب بين الأصل والفرع، ما جعل التقاط المفاهيم ودركها يسيرة لدى المخاطب.

۱۵. صورة الكتاب الكلية وشموليته

تتجلى درجة الشمولية للكتاب عبر مؤشرات؛ هى احتواء الكتاب على التوطئة والهدف والفهرس والجداول أو الرسوم البيانية والتدريبات (راجع: نصر، ۱۳۹۱: ۶۰)؛ وهى فى الكتـاب المـدروس تظهر كما يلى:

التوطئة	تبيين الهدف		المقدمة		الفهرس/المحتوى		الجداول و الرسوم و الرسوم البيانية و الخرائط			
	صريحة	ضمنية	كلية	متوزعة على فصول	اجمالى	تفصيلى	الجدول	الرسوم	الرسوم البيانية	الخرائط علمية
موجودة	موجود		معدومة	معدومة	معدوم	موجود	معدوم	معدومة	موجودة	موجودة

التمارين والتدريبات	الملخص		حصيلة البحث و نتائجه		الفهارس			قائمة المصادر والتعريف بالكتب والتعريف بالمصطلحات
	لكل فصل	كلى	كلية	متوزعة على فصول	الاعلام	الموضوعات	المصادر	
موجودة	معدوم	معدوم	معدومة	معدومة	معدومة	موجودة	موجودة	معدومة

۱۶. الجوانب الإيجابية للكتاب

تتلخص الجوانب الإيجابية للكتاب فى فكرة المزج بين البلاغة التقليدية والبلاغـة الجديـدة فـى كتاب دراسى آكادمى من دون أن تسيطر عليه النزعة الأحادية الشخصية؛ فيتعرف الطالب بصـفته مخاطباً للكتاب هذا، على زوايا اشتراكية بين البلاغة التقليديـة والبلاغـة الجديـدة ثـم الجانـب الإبداعى التنظيرى يتضخم عند كلامه عن المجاز الوظيفى وأعطـى الكاتـب أهميـة لابـأس بهـا للتقنيات الإدراكية توسيعاً لمهارات للتعليم.

۱۷. الجوانب السلبية للكتاب

من أهم ما يلفت النظر بهذا الصدد هو عدم اهتمام الكاتب بالتنسيق فى كيفية الإحالة، فهى تتراوح بين داخل نصية وهامشية، ثم انتقاء مصادر تونسية فى ذكر خلفية البحث وذكر شـواهد تونسـية التى لا يدركها إلا أصحابها؛ ثمة الأخطاء المطبعية لا بد أن تصل إلى درجـة الصـفر خاصـة إذا اتخذ الكتاب وجهة دراسية عالمية.

۱۸. نتائج البحث

توصلت هذه الدراسة المتواضعة عبر قرائتها النقدية للكتاب *دروس فی البلاغة العربیة، نحو رؤیة جدیدة* إلى النتائج التالية:

أولاً: الأطر الشكلية والصورة الهندسية للكتاب مقبولة إلى حد كبير، حجم الكتاب يناسب المستوى التعليمى الذى وضع الكتاب لأجله إلا أن هنالک بعض الأخطاء المطبعية تخدش النسق الصورى للكتاب ثم أسلوب الإحالة المتزاوج بين داخل نصى والهامشى يوتر الهندسة الشكلية للكتاب وبعض الأبيات التواجدة وردت من دون الإحالة والآيات القرآنية أحياناً وردت من دون أن توضع فى القوس المزهرى أما العناوين الفرعية والأصلية فتتحد وتتماسک فى خيط منسجم حيث لا انفكاک لعراها ثمة استحضار التمارين، وتضخيم النقط الهامة، والرسوم البيانية وغيرها من التقنيات التعليمية الإدراكية التى تساعد على ترقية مستوى التعليم.

ثانياً: هذا الكتاب محاولة دمج البلاغة التقليدية فى البلاغة الحديثة وعرضها على الطلاب وقد استطاع الباحث أن يقولب المقولات البلاغية الجديدة فى إطار البلاغة التقليدية بأحسن ما يكون؛ فمن القضايا المستحدثة التى أشار إليها الأزهر الزناد فى كتابه هى قضية الدال والمدلول والمرجع، الباث والمتقبل، والعدول، والتوليد، والتعمية، والمواضعة، والاعتباط، والمسور، ودرجة الصفر، والتفاعل، والقناة، والاستلزام الـ ماقبلى، والنص القابل، والنص المصدر؛ وهذا يدل على أنّ الأزهر الزناد فاز فى محاولته وقدّم بضاعة دسمة جديرة فى مجال التحليل البلاغى من منظور مستأنف.

ثالثاً: الكتاب المدروس ككتاب دراسى يشتمل على الكثير من التقنيات لتحسين القراءة واستيعاب النص، من أمثال التمارين والرسوم البيانية وغيرها، إلا أنه يفتقد بعض المؤشرات التى تنمّى المهارات الإدراكية للمتلقى فتنعدم فيه تحديد الأهداف فى بدايات الفصول، والإتيان بالتلخيصات فى نهاياتها، وذكر النتيجة، وأنه يفتقد المقدمة العلمية واستعاضها بالتصدير الذى لايتضمن العناصر التى تخصّ بالمقدمة. وهنالک تنعدم الفهارس العامة فى نحو؛ فهارس الأعلام وفهارس الكتب وفهارس الشواهد الشعرية. وعدد المصطلحات ملحوظ حيث يمكن وضعها فى قائمة مجزأة إلا أن صاحب الكتاب تناسى هذا الجانب وتغافل عنه.

رابعاً: إلتزام الكاتب بالأمانة العلمية لابأس بها إلا أن هناک بعض الأبيات شعرية فى التمارين لم يسندها إلى أصحابها ثمة الفحوى ينطبق انطباقاً تاماً مع المضامين إلا فى فقرتين، والمصادر التى وظّفت حوالى أربعين مصدراً تتوزع بين المصادر الأجنبية والمصادر العربية وهى من أمهات المصادر وأحدثها إلا أن العين لاتقع فيها على المقالات أو الرسالات الجامعية أو الأطروحات وهذا مما لا غبار عليه لأن الكاتب أراد توظيف عيون المصادر من دون غيرها فى بحثه.

خامساً: قلم الكاتب وأسلوبه سلس عذب رشيق لايؤدى إلى ملل القارئ ويبتعد عن الغموض والإبهام والضبابية التى تنافى الكتب العلمية وهو فى توظيفه للمصطلحات العلمية يأتى بالشرح الوافى ولايترک المتلقى بين كومة كثيفة من المصطلحات الجديدة، والتحاليل التى يقدمها فى كل درس من الدروس مستشفة واضحة.

سادساً: على الرغم من أن الكتاب، كتاب تعليمى دراسى ولم يصنف للغايات التنظيرية ويضعف جانب الإبداع فى كتب كهذا الكتاب لكن الأزهر الزناد فى كتابه «دروس فى البلاغة العربية رؤية جديدة» أبدع من جانبين؛ الأول: مزج البلاغة التقليدية بالبلاغة الحديثة فيما أمكن فى كتاب دراسى جامعى لأن الكتب الجامعية فى غالب الأحيان تنزاح نحو القديم أو تتمايل إلى الجديد ولاتتوسط فيما بينهما والثانى: أنه أبدع فى خلق بعض المصطلحات البلاغية نحو: «المجاز الوظيفى» الذى تتطلع عليه من خلال تجربته لتدريس البلاغة، هذا الإبداع بغض النظر عن مدى صحته نتاج جهد جهيد يليق بالثناء.

سابعاً: الكتاب *دروس فى البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة* يستأهل بأن يكون كتاباً دراسياً يدرس فى الجامعات ويزداد الأمر حُسناً إذا قام صاحب الكتاب بإجراء التعديلات التى وردت فيما ألّف من الأخطاء المطبعية وتعديل تصميم الغلاف ثم إعادة النظر فى بعض الأقسام وإلحاق بعض الشروح التى نضبت فيه التفاصيل ليعطى الكتاب أكله ضعفين وأخيراً يوجه البحث شكره للأزهر الزناد على ما بذل من جهود جبارة فى سبيل تنمية اللغة العربية وتعليمها.

المصادر

ابن الرسول، سید محمد رضا، والآخرون (۱۳۹۵). «نقد وبررسی کتاب *البلاغة* والتطبیق»، *پژوهش‌نامهٔ نقد ادب عربی*.

البکری، محمد حمدی (۱۹۸۲). *أصول نقد النصوص ونشر الکتب*، الریاض: دار المریخ للنشر.

جمالی زواره، بتول، ودیگران (۱۳۸۸). «بررسی معیارهای روان‌شناختی تألیف و تدوین کتاب‌های درسی دانشگاهی»، *مجلهٔ عیار*.

حوری، عائشة (۲۰۱۰). «تحلیل محتوی کتب القواعد النحویة فی المراحل الدراسیة فی الجمهوریة العربیة السوریة»، *مجلة جامعة دمشق*.

خاقانی، محمد (۱۳۹۵). «بررسی ونقد کتاب *البلاغة* وتحلیل الخطاب»، پژوهش‌نامهٔ نقد ادب عربی.

رضوی، سید عباس (۱۳۹۴). «نقد وبررسی کتاب *طراحی آموزش اثربخش*»، پژوهش‌نامه انتقادی متون و برنامه‌های علوم انسانی.

الزنّاد، الأزهر (۱۹۹۲). *دروس فی البلاغة العربیة نحو رؤیة جدیدة*، بیروت: المرکز الثقافی العربی.

فاضلی، محمد (۱۳۷۶). *دراسة ونقد فی مسائل بلاغیة هامّة*، مشهد: انتشارات دانشگاه فردوسی مشهد.
فضیلة، سعدی (۲۰۱۴). صادقی طاوس. الکتاب المدرسی للتلمیذ الجزائری فی المستوی الابتدائی ـ کتاب القراءة للسنة الخامسة نموذجاً ـ دراسة تحلیلیة نقدیة، مذکرة مقدمة لنیل شهادة الماستر فی اللغة والأدب العربی.
مؤسسهٔ خانهٔ کتاب (۱۳۸۶). *کتاب نقد و نقد کتاب*، تهران: خانه کتاب.
نصر، أحمدرضا وآخرون (۱۳۹۱). «تبیین معیارهای نگارشی و ساختاری تألیف وتدوین کتاب‌های درسی دانشگاهی رشته‌های علوم تربیتی، مشاوره و روان‌شناسی»، *نامهٔ آموزش عالی*.

https://sites.google.com/site/lazharzanned

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی